الفصل الثاني
تفسير (مجاهد) رحمه الله تعالى

قدّم الباحث (أحمد إسماعيل نوفل) بحثاً قيماً لنيلِ شهادةِ الدكتوراه، وذلكَ حولَ (مجاهد: المفسّر والتفسير)، تحدّث فيه عن شخصية مجاهد، وبيئته وعصره، وعن شخصيته العلمية، وعن شيوخه ومن روىٰ عنهم، وعن تلاميذه والذين رَوَوْا عنه، وعن طرق الرواية عنه، وعن طريقة مجاهد في التفسير، وعن منهجه في علوم القرآن، وعن منهجهِ في تفسير آياتِ الأحكام، وآيات العقيدة، وما إلى هُنالك.

وقد عاش المفسر مجاهد حياة حافلة بالجهاد: جهاد القلم وجهاد العلم، وكانَ ذلكَ بين (٢١ ـ ١٠٤ هـ) فرحمه الله.

ولمزيد من تعميم الفائدة، ننقل بعض ما حرّرهُ الباحث:

٧ ـ يردّ (مجاهد) الآيات إلى بعضها بعض، ويفسّرها بنظائرها، مثال ذلك: في تفسيره لقول اللهِ تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1] قال: الظالم لنفسهِ: أصحاب المشأمة، والمقتصد: أصحاب اليمين، والسابق بالخيرات: السابقون، وذلكَ تفسيراً لها بالآية الكريمة: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[2].

---

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) الواقعة: ٨ ـ ١٠.

٨ ـ وفي تفسير قول اللهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1].

قال (مجاهد): هم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2].

٩ ـ لكن (مجاهد) يذهب في تأويل بعض الآيات مذهباً لم يسبقه أحد إليه.

مثال ذلك: عند تأويله للآيات المتعلقة بمسخ بني إسرائيل قردة خاسئين، أو قردة وخنازير، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[3].

وفي قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[4].

فقد رأى (مجاهد) فيها رأياً لعلّه لم يسبق به على الإطلاق، وذلكَ حين قال: أن مقصد الآياتِ التمثيل لا حقيقة المسخ!.

قال (مجاهد): (إن المسخ لم يقع على أجسامهم بل على قلوبهم، فبقوا أناسيّ لهم نفوس القردة).

ومراد الآيةِ على هذا عندهُ: (التمثيلُ كما مثل الذين حملوا التوراةَ في موضع آخر: ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ

---

(١) البقرة: ٢٤٦.
(٢) النساء: ٧٧.
(٣) البقرة: ٦٥.
(٤) المائدة: ٦٠.

﴿أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1] ـ بمثل الحمارِ يحمل أسفاراً.

١٠ ـ ويلاحظ الباحث أن (مجاهد) يهتمّ بالتفسير العملي، فهو يلجأ في كثيرٍ من الأحيانِ إلى تجسيد المعنىٰ وبتشخيصهِ من الواقع العملي للحياة، وذلكَ بهدف تقريب المعنىٰ، وإعطاء المدلول الواقعي للنصّ القرآني.

ففي تفسيره لكلمةِ ﴿الرّان﴾ يقول:

قال تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[2] أي: الذنوب تحيط بالقلوب، كالحائط المبني على الشيء المحيط، كلما عمل ذنباً ارتفعت حتى تغشىٰ القلب، حتى تكون هكذا ثم قبض يده، ثم قال: هو الرّان.

١١ ـ وكثيراً ما يهتمّ (مجاهد) أثناء تفسيرهِ للآياتِ القرآنيةِ بالأمور الوعظية، مثال ذلكَ:

عند تعليقه على قصةِ داود عليهِ السلام، يقول: (أوحىٰ الله إلى داود: اتق، لا يأخذكَ اللهُ على ذنب لا ينظر فيهِ إليك، فتلقاه حين تلقاه، وليست لك حجّة).

ويقول: (يبعث داود وذكر خطيئته ووجله منها في قلبه، منقوشة في كفيّه، فإذا رأىٰ أهاويل الموقف، لم يجد منه متعوّذاً ولا محرزاً إلا برحمة ربه وقربه، فيشير إليه ها هنا، وأشار بيمينه إلى جنبه، فذلكَ قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[3][4].

---

(١) الجمعة: ٥.
(٢) البقرة: ٨١.
(٣) ص: ٤٠.
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ٣/ ٢٩٢.

١٢ ـ وفي تفسيره لقول اللهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[١] يقول: (إذا أراد أحدكم أن ينام، فليستقبل القبلة، ولينم على يمينه، وليذكرالله، وليكن آخر كلامه عند منامه: لا إلٰه إلا الله، فإنها وفاة لا يدري لعلها تكونُ منيّته...)[٢].

١٣ ـ ومن تفسيراته الوعظية، قوله عند الآيات التي تتحدث عن قصر الأعمار وإنذارات الموت، قوله:

(ما من مرضٍ يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده، حتى إذا كان آخر مرض أتاه ملك الموت، فقال: أتاك رسولٌ، بعد رسولٍ، فلم تعبأ به، وقد أتاك رسولٌ يقطع أثرك من الدنيا!!)[٣].

١٤ ـ ويهتم (مجاهد) بالأخبار الواردة في أسباب النزول، وفي ذلكَ فوائد جمّة، مثال ذلكَ:

في تفسيره لقول اللهِ تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٤].

أخرجه ابن أبي حاتم، وابن جرير عن (مجاهد) قال: سألتْ قريش محمداً ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: نعم هو لكم كالمائدةِ لبني إسرائيل إن كفرتم، فأبوا ورجعوا، فأنزل اللهُ هذه الآية[٥].

وقال النيسابوري: عن ابن عباس، ومجاهد أن عبد اللهِ بن أمية المخزومي أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: (يا محمد! ما أومن بكَ حتى تفجر

---

(١) الأنعام: ٦٠.
(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢/ ٢١١.
(٣) حلية الأولياء: ٣/ ٢٨٩.
(٤) البقرة: ١٠٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢/ ٤٩١.

لنا من الأرضَ ينبوعاً أو تكونَ لك جنة) فأنزلت[1].

١٥ ـ وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾[2].

قال: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه فأسألهُ عنها حتى انتهىٰ إلى هذهِ الآية ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ. . .﴾.

فقال ابن عباس: إن هذا الحيّ من قريش كانوا يتزوجون النساء ويتلذّذون بهن مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينةَ تزوجوا من الأنصار، فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بمكة، فأنكرن ذلكَ وقلن: هذا شيء لم نكن نؤتىٰ عليهِ، فانتشرَ الحديثُ حتى انتهىٰ إلى رسول الله ﷺ فأنزل اللهُ تعالى في ذلكَ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ. . .﴾ قال: إن شئت مقبلة، وإن شئت مدبرة، وإن شئتَ باركة، وإنما يعني موضع الولد للحرث، يقول: ائتِ الحرثَ حيث شئت. .[3].

١٦ ـ وفي تفسيره لقول اللهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[4].

قال مجاهد: كان جماع قبائل الأنصار بطنين: الأوس والخزرج، وكان بينهما في الجاهليةِ حربٌ ودماءٌ وشنآن، حتى منَّ الله عليهم بالإسلام وبالنبي ﷺ، فأطفأَ اللهُ الحرب التي كانت بينهم وألّف بينهم بالإسلام، قال: فبينا رجل من الأوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان ومعهما يهودي جالس، فلم يزل يذكرهما أيامهما، والعداوة التي بينهم حتى استبَّا ثم اقتتلا، قال: فنادىٰ هذا قومه، وهذا قومه،

---

(١) غرائب القرآن للنيسابوري: ١/ ٤٠٥.
(٢) البقرة: ٢٢٣.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٨/ ١٩١.
(٤) آل عمران: ١٠٠.

فتخرجوا بالسلاح ، وصفّ بعضهم لبعض.

قال: ورسول الله ﷺ شاهدٌ يومئذٍ بالمدينةِ ، فجاء رسول الله ﷺ فلم يزل يمشي بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ليسكنهم حتى رجعوا ، ووضعوا السلاحَ ، فأنزل اللهُ هذه الآية[1].

١٧ ـ وفي تفسيره لقول اللهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2].

قال مجاهد وغيره: قتل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رجلين من بني سليم، وبين النبي وبين قومهما موادعة، فجاء قومهما يطلبون الديةَ، فأتىٰ النبي ﷺ ومعهُ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وابن عوف فدخلوا على كعب بن الأشرف ، وبني النضير ، يستعينهم في عقلهما ـ في الدّية ـ ، فقالوا: يا أبا القاسم قد آن لنا أن تأتينا وتسألنا في حاجة.

ثم قال بعضهم: إنكم لم تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن يظهر البيتَ ، فيطرح عليهِ صخرة ، فخرجَ الرسولُ ﷺ ونزلت هذه الآية[3].

١٨ ـ وفي تفسيره لقول اللهِ تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[4].

قال مجاهد: عن ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن قتلىٰ أُحد ، انصرف رسول الله ﷺ ، فرأىٰ منظراً ساءه ورأىٰ حمزة رضي اللهُ عنه قد شقّ بطنهُ واصطلم ـ جُدع ـ أنفه وجدعت أذناه ، فقال: «لولا أن

---

(١) تفسير الطبري: ٧/ ٥٩.
(٢) المائدة: ١١.
(٣) أسباب النزول للواحدي: ١١٠.
(٤) النحل: ٢٥.

يحزن النساء أو يكون سنة بعدي ، لتركته حتى يبعثه اللهُ من بطون السّباع والطيّر ، ولأقتلنّ مكانه سبعين رجلاً منهم».

ثم دعا ببردة فغطىٰ بها وجهه ، فخرجت رجلاه ، فجعل على رجله شيئاً من الأذخر ثم قدّمه وكبّر عليهِ عشراً ، ثم جعل يُجاءُ بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلّى عليه سبعين صلاة ، وكان القتلىٰ سبعين ، فلما دُفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية إلى قولهِ تعالى: ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ فصبر ولم يمثّل بأحد[1].

١٩ ـ وفي تفسيره لقول اللهِ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2].

قال (مجاهد): جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أتصدّقُ وأصل الرّحمَ ولا أصنع ذلكَ إلا للهِ سبحانه وتعالى ، فيذكرُ ذلكَ مني وأحمد عليه فيسرّني ذلكِ وأُعجبُ بهِ ، فسكت الرسولُ ﷺ ولم يقل شيئاً ، فأنزلَ اللهُ هذه الآية.

وعن (مجاهد) أيضاً: قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أتصدّقُ بالصدّقةِ وألتمسُ بها ما عندَ الله وأحبّ أن يقال لي خيراً ، فنزلت[3].

٢٠ ـ وفي تفسيره لقول اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4].

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ١٦٣.
(٢) الكهف: ١١٠.
(٣) تفسير القرطبي: ١١/ ٧٠ ، الدر المنثور للسيوطي: ٤/ ٢٥٥.
(٤) لقمان: ٣٤.

قال مجاهد: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي حُبلىٰ فأخبرني ماذا تلد ، وبلدنا جدبة محل فأخبرني متى ينزل الغيث ، وأخبرني أين أموت ، فأنزل اللهُ هذه الآية ، وهنّ مفاتيحُ الغيب[1].

* * *

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١١/ ٧٠ ، الدر المنثور للسيوطي: ٤/ ٥٠٤.